منشورات المركز الأكاديمي للدراسات الثقافية والأبحاث التربوية

البلاغة العربية
وآفـــاق تحليـــل الخطاب

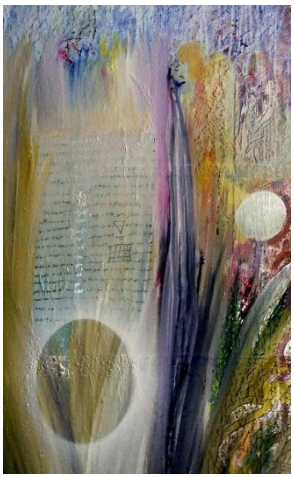

تنسيق

المهدي لعرج حنان المراكشي

محمد الفتحي مصطفى شميعة

فاس ٢٠٢٠

فهرس الموضوعات

تقديم: 3
- البلاغة العربية وامتداداتها..... 7
البلاغة والمجتمع ، قراءة في بعض إسهامات د عماد عبد اللطيف.
د. عادل عاللطيف..... 8
كتاب تحليل الخطاب البلاغي : دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف.
د. علي المصلاوي وأ د: كريمة نوماس محمد النمري..... 15
من الوظائف البلاغية إلى البلاغة الوظيفية ،
د. محمد غازيوي..... 33
أطر النقد البلاغي العربي المعاصر في مشروع عماد عبد اللطيف.
ذ. محمد يطاوي..... 46
قراءة تحليلية وصفية لكتاب " البلاغة والتواصل عبير الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف
د. مسعود غريب..... 62
أهمية التواصل بين الثقافات والحضارات ودور البلاغة ، دراسة ذرائعية مستقطعة في كتاب "البلاغة والتواصل عبر الثقافات" للدكتور عماد عبد اللطيف،
د. عبير خالد يحيى..... 83
تحرر البلاغة أو نقض أسس الخطاب الرسمي
ذ محمد الوظيفي..... 102
رؤية الدكتور عماد عبد اللطيف للتواصل بين الثقافات من خلال كتابه " البلاغة والتواصل عبر الثقافات"
د خالد التوزاني..... 117
- مفهوم بلاغة الجمهوروتطبيقاته..... 137
البلاغة والخطابة السياسية المعاصرة، قراءة في كتاب "الخطابة العربية السياسية في العصر الحديث" لعماد عبد اللطيف.
ذ عبدالوهاب صديقي 138
ملامح تجديدية في البلاغة وتحليل الخطاب، قراءة في مشروع بلاغة الجمهور لعماد عبد اللطيف
د. نزهة خلفاوي..... 146
بين بلاغة الجمهورونظرية التلقي ، تكامل أم تمايز؟
ذ. حسين البعطاوي..... 157

فاعلية استجابة جمهور مواقع التواصل الاجتماعي في تغيير الخطاب، قراءة في مشروع الدكتور عماد عبد اللطيف
د. ماجد صلاح 186
بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.
د. عبد الكبير الحسني..... 203
فلسفة الحوار، تأسيس لبلاغة الجمهور في كتاب "البلاغة والتواصل" لعماد عبد اللطيف .
د. نعيمة سعدية..... 212
نظرية بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف وعلاقتها بالسيميائيات
د. ماجد قائد قاسم..... 242
بلاغة الجمهور بين الرؤية و المنجز و الطموح
ذ عادل المجدلاوي..... 267
- تحليل الخطاب السياسي..... 308
مقاربة الخطاب السياسي، قراءة في أعمال د عماد عبد اللطيف
ذ. فضيل ناصري..... 309
وظائف الاستعارة في الخطاب السياسي من منظور د عماد عبد اللطيف.
د بلخير شنين..... 322
تحليل الخطاب السياسي، قراءة في أعمال الدكتور عماد عبد اللطيف
د فؤاد أعلوان 337
- إشكالية تدريس البلاغة العربية..... 350
الرؤية الحداثية في تدريس البلاغة العربية – عماد عبد اللطيف نموذجا .
د نصيرة شيادي..... 351
تدريسية البلاغة العربية، قراءة وتعقيب على مقال " تدريس البلاغة العربية التاريخ، الحاضر، المستقبل
ذ.أيوب الظهراوي..... 362
تدريسية البلاغة العربية : المفاهيم وأساليب الأجرأة. قراءة في مشروع د عماد عبد اللطيف.
د. نور الدين ناس الفقيه..... 376
بعض صور أجرأة بلاغة السكاكي في الدرس التعليمي – آلية التعريف أنموذجا- استضاءة بتجربة الدكتور عماد عبد الطيف.
د دنيا لشهب..... 389
- فهرس الموضوعات: 402

بلاغة الجمهور: نحو بناء فرضية ذهنية جديدة.

عبد الكبير الحسني
جامعة السلطان المولى سليمان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
بني ملال- المغرب

تقديم

لم يكن سهلا على الدراسات الحديثة في مجال البلاغة أن تتطور بالشكل الذي هي عليه اليوم لو لم ينتبه الباحثون إلى مسألة إعادة طرح الأسئلة الجوهرية التي تختص بالوسائل و الوسائط المتدخلة في مسألتي التأثير و الإقناع، اعتبارا أن كل خطاب بلاغي هو في الأصل محاولة لاستمالة الجمهور و التأثير فيهم، و أمام ذلك تصبح كل الطرح و الاستراتيجيات متاحة لبناء نسق توافقي يجمع بين عنصري العلاقة التواصلية، و تلعب اللغة هنا دورا محوريا لأنها تمثل الوسيط الذي من خلاله تتجسد تلك العلاقة و تبنى مقوماتها الجوهرية ، فلا يمكن أن نرسم مسارا تواصليا دون الارتكاز على مكون اللغة التوافقي لأنها تنقل كل التفاصيل الممكنة عن ما نفكر في توصيله و محاولة إسقاطه على ذهن المخاطب.

و ليس سهلا أيضا أن نفكر اليوم في مسألتي التأثير و الإقناع على اعتبار أنهما مرا عبر مجموعة من التحولات المعرفية الكبرى منذ أرسطو إلى اليوم ، و هي التحولات التي يمكن أن نعتبرها مهمة للغاية بالنظر إلى كونهما من المرتكزات الجوهرية و الأساسية للبلاغة بشكل عام، إذ لا يمكن الحديث عن أي نوع من أنواعها دون أن تكون الغاية هي التأثير و الإقناع، و ربط ذلك بمجال اللغة دفع بالقول إن المخاطب يوظف كل إمكاناته اللغوية من سلاسة في الأسلوب و حضور الشخصية القوية و توزيع النظر على الجمهور ...من أجل أن يستميلهم و قيادتهم نحو الهدف الذي هو الإقناع.

في مقابل ذلك يمكن أن نسائل البلاغة بشكل عميق و نقول : هل بناء مسار التأثير و الإقناع يحمل على ما يجري من تفاصيل اللغة، أم أن ذلك يرتبط بمقومات أخرى لها علاقة بقدرة الإنسان على قراءة و تأويل ما يجري في أذهان الجمهور؟

انطلاقا من هذا أحاول أن أدفع نحو الافتراض أن تحقيق التأثير و الإقناع لا يرتبطان باللغة فقط ، بل إن الأمر يتجاوز ذلك نحو أن أي عملية من هذا النوع ترتبط بقدرة الإنسان على قراءة ما يجري في ذهن المتلقي ، و هي خاصية إنسانية لا تملكها الحيوانات الأخرى بحكم أن قارئة سلوك، و هي محاولة لتطوير

فكرة أننا نتواصل من أجل أن نؤثر في الأخر، و كل تواصل ناجح هو في الأصل توافق على نقط مشتركة لها صلة بمسألتي الإفهام و القصدية.

1- طرق إنتاج لغة السلطة

لا أريد أن أخوض في السياق التاريخي للبلاغة، ولا أريد أن أمارس التأريخ لها، لكني أسعى إلى اقتطف بعض الملاحظات التي وردت عند الكثير من البلاغين العرب و غيرهم، وهي الملاحظات التي أعتبرها تدخل في باب المتفق عليه بين الباحثين حتى أوفر على نفسي عناء الاتهام بإقصاء البعض على حساب الأخر، فقد أسس الدكتور عماد عبد اللطيف مشروعا بلاغيا يستهدف باب بلاغة الجمهور المؤسسة على التأثير والتأثر، بمعنى أنها خطاب يقوم على هدف التأثير في المتلقي بصرف النظر عن وسائل المستخدمة في ذلك و درجات تحقيق ذلك، بمعنى ضرورة تأسيس هذا النوع من البلاغة على مفهوم الأثر، و الأثر هنا أنواع وأشكال تتداخل فيه مقومات عدة ترتبط بالمقام و السيّاق و طبيعة المتلقي[1] ، وهو الأمر الذي يهمنا بشكل كبير، خصوصا أن فكرة الأثر شكلت، في نظرنا، جوهر حدوث البلاغة كتوجه معرفي له مسار طويل امتد منذ أرسطو إلى اليوم، فلو تقصينا قليلا مرامي البلاغة لوجدنا أنها السعي إلى التأثير في المخاطب بتوظيف كل الأساليب الممكنة، المهم أن فعل التأثير غاية كبرى من أنتاج الفعل في حدّ ذاته، ونحن نعلم أن مسألة التأثير لا يمكن تحصيلها هكذا، بل من أجل الوصول إليها يجب المرور عبر الكثير من المراحل التي تختلف من شخص لأخر، وهو الاختلاف الذي يجعلنا نقتنع ببعض و لا نقتنع ببعض أخر، لكن في مقابل ذلك سواء نجح الفعل أو لم ينجح فإن غاية كل واحد هو الوصول إلى أعلى درجات التأثير والإقناع، على الرغم من صعوبة تحديد مقياس ذلك بسبب الوجه الاحتمالي للخطاب في حدّ ذاته.

عندما نركز الاهتمام على المشروع البلاغي الذي قاده الدكتور عماد عبد اللطيف سندرك أن فكرة دراسة الجمهور دفعته إلى النظر في الكثير من الخطابات التي لا يهمنا منها إلا الجانب اللغوي في الخطاب السياسي، هو الخطاب الذي فرض نفسه بشدة لأنه يمثل النموذج المعيار الذي تتوحد فيه كل معاني المواجهة بين الخطيب مع الجمهور ، بل إن قوة التلاحم بينهما تتجسد في كثير من الأحيان من خلال قراءة قوة التأثير و التأثر من جهة، و من جهة أخرى رصد الوسائط التي تدفع نحو بناء جسور الإقناع بين الطرفين، على الرغم من التأكيد المسبق : "أن اللغة السياسية صممت خصيصا لكي تجعل الأكاذيب تلبس ثوب الحقائق، و لكي تقتل ما هو جدير بالاحترام" (جورج أورويل).

---

[1] للتوسع أكثر يرجى العودة إلى كتاب سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري لمؤلفه إدريس جبري، منشورات مجلة البلاغة و تحليل الخطاب ، ط 1 ، (2019)

إن إنتاج اللغة داخل الخطاب السياسي يتدحرج بين الوعي بالخطاب و الوعي بما يقع على الجمهور من تداعيات التأثير ومتطلبات الإقناع، فبؤرة الخطاب هي أن تفرض اللغة سلطتها على الجمهور بحيث أنها تتحول في صياغة المعنى من منطق الصدق إلى منطق التدليس و التمويه و المراوغة، و هي تداعيات تعطينا نتيجة عن طبيعة الفئة المستهدفة، فكل عشيرة لغوية تفرض خطابا معينا و تساهم في تشكيله من خلال الرصد الدقيق لحجم التفاعل المبني على عنصري التأثير و التأثر ، فلا يمكن أن نتصور أن خطابا سياسيا بلغة معينة يمكن أن يسقط على الجميع، أو نفترض أنه صالح ليتقبل عند الجميع بالحمولة نفسها، و هذا كفيل بأن يقدم لنا دليلا أنه لكل فئة اجتماعية سياق لغوي يناسبها و يناسب احتياجاتها، لذلك يمكن أن نساير الطرح الذي يؤكد أن اللغة تساهم بشكل كبير في إدماج الجمهور في إطار النظام السائد عبر تشكيل يرسم لهم خارطة طريق للكيفية التي يجب أن يكون عليها وعيهم و شخصيتهم و نمط تفكيرهم، ليبدو لنا سلوك الأفراد كما لو كان نابعا من إرادة حرة في حين أنه مقيد بإديولوجيا خفية قد لا يعيها الإنسان في أقصى تقدير للمسألة، والأخطر في المسألة أن أي مسّ بها يصادر بمقاومة و نضال اعتقادا منهم أنها تمس مصلحتهم الشخصية، و لن تجد سلطة أخطر من اللغة لكي توصل الجمهور إلى هذا المستوى الكبير من التأثير، ولكي تؤدي اللغة هذه الوظيفة يجب أن تؤسس على مجموعة من المعطيات منها ما يعلن عنه صدقا ومنه ما يظل خفيا يضمر في ما نسميه "المعنى الثالث" الذي لا يصرح به بشكل علني.

2- أوجه إنتاج اللغة و تداعياتها.

تلعب اللغة دورا خطيرا في التعبير عن أفكارنا و تصوراتنا، هي القالب الذي نفرغ فيه عالمنا و نؤوله، إذ لا يمكن أن نتصور عالمنا بدون وسيط اللغة الذي يمثل في نهاية الوجه الذي نحن عليه، اعتبارا أن كلّ ما نعبر عنه من أفكار ومدارك و تصورات هي حياتنا اللغوية المستقاة من تجربتنا مع الأخر ومع المحيط اللغوي الذي ننشأ فيه، فنحن مفطورون أن نتعامل مع الأخر، مفطورون أن نتواصل مع المحيط الذي ننمو داخله، مع المحيط الذي زودنا بكل التفاصيل التي تخص عوالمنا اللغوية الخاصة، لذلك فمن الممكن جدا أن تكون هذه المعطيات بداية جيدة لما نتصوره ضروريا في أنتاج اللغة، اعتبارا منا أن إنتاجها لا يأتي هكذا دون خلفيات تؤسس للعملية و تهندس لها، لمجرد أن يكون الإنسان مفطورا بالتعامل مع الأخر فهذا كفيل بأن يكون الأخر هو المساهم الحقيقي و الفعّال في إنتاج اللغة، وإذا ما تم ربط إنتاج اللغة بالأخر فإنه يفرض سلطته حيت ندري أو لا ندري، لذلك فهي سلطة مترامية فينا بالقوة والفعل، وعلى الرغم من الصعوبة التي قد نصافها في وضع المعايير المضبوطة لقياس درجة حضور هذه السلطة، إلا أننا نملك في مقابل ذلك الكثير من المؤشرات التي تجعلنا قارئين

جيدين للنوايا والتصرفات والسلوكات، فما يصدر منا من ذلك هي كاشفات لما يدور في أذهاننا، وهي أمر نعلم أن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على فعل ذلك بالمقارنة مع باقي الحيوانات الأخرى، اعتبارا أن تواصلنا مع أطفالنا لا يتم باللغة بقدر ما يتم بالقراءة الجيدة لما يدور في الذهن، وهذا وحده كفيل بأن يجعل الإنسان قارئ أذهان في حين أن الحيوانات هي قارئة سلوك.

تدفعنا هذه الفكرة نحو طرح أسئلة جوهرية و دقيقة هي: هل فعلا نتواصل باللغة؟ وهل ما ننتجه من لغة كفيل بأن يحقق التواصل؟ نستثمر للإجابة عن هذه الأسئلة نظرية الفضاءات الذهنية كما وردت عند فكونيي (faucaunier) الذي أكد أن حجم اللغة التي ننتجها لا يتوازى مع حجم اللغة الذي يظل في أذهاننا، فحجم اللغة الذي يمكث في أذهاننا كثير بالمقارنة مع ما نصرح به. و هو الأمر نفسه الذي دعمه تشومسكي عندما أكد أن المبررات التي تقدم كدليل على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل هي مبررات غير كافية لإثبات ذلك، فهناك الكثير من اللغة يظل في الذهن دون التمكن من إصداره في صورة تراكيب لضرورة معينة، وهو الأمر الذي يمكن أن ندعمه بكون الإنسان لا يستطيع أن يصرح بكل ما يفكر به، فهو ينتقي من معجمه الذهني ما يناسب المقام، اعتبارا لمجموعة من الإكراهات التي تحول دون فعل ذلك، فلو كانت اللغة تسعفنا في قول كل شيئ لما أنتجنا من داخل عبارات ماذا تقصد؟ وماذا تعني؟ وماذا تريد أن تقول؟....فلو كانت الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل لما أنتجنا مثل هذه العبارات التي أعتبرها وسائط مساعدة على الفهم، ومساعدة على إنجاح العملية التواصلية، ففي نهاية المطاف نحن لا نتواصل بقدر ما نحقق توافقات قصدية تبنى على الفهم والإفهام، لذلك يجب أن نبحث في التواصل عن المعنى الثالث الكامن في الذهن ولا نستطيع أنتاجه في صورة لغة لأسباب لها علاقة بطبيعة الأخر أو بالمحيط أو بشروط المقام أو بإكراهات نفسية أو شعورية لأسباب نعلم منها القليل و نجهل فيها الكثير، المهم أن أنتاج اللغة في نظرنا يخضع لمصفاة ذاتية و رقابة مقامية تفرض علينا أن نختار لكل مقام المقال الذي يناسبه و اللغة التي تفي بغرض التواصل لكي نحقق بعضا منه دون أن ندّعي أننا نحقق ذلك بكل المقاييس التي نتوخاها ونرجوها. فنحن لا نتواصل في الوقت الذي نعتقد فيه أننا نفعل ذلك.

أمام كل هذه الإكراهات التي تحدثنا عنها فإن حديثنا عن إنتاج اللغة وفق معايير خاطئة غالبا ما سيقود تحليلاتنا إلى نتائج خاطئة، و إذا ما نحن سايرنا الخطأ فإننا سنسقط في التحاليل المبنية على التأويل و ليس على التحليل العلمي الذي ينسجم مع المنطق، لذلك فحجم التنظير الذي أنتجته البلاغة كبير جدا لدرجة أنها ظلت مهووسة بدراسة المقام و المقال و القصد و الإفهام والخطيب والخطاب .... في محاولة منها تقريب لتأويل ما يجب أن يكون عليه الحال، ونحن إذ لا ننفي توجه البلاغة في زمن من تاريخ الفكر اللغوي نحو البحث في القصد والإفهام، فهي في

الوقت نفسه فتحت الباب أمام قراءة ما يدور في ذهن المتلقي ، فتحدثت عن خالي الذهن من المعلومة، و تحدثت عن شروط المقام، ومحاولة إفهام المتلقي....المهم الكثير من التعابير التي تسير وفق هذا المسار، بمعنى أن البلاغة تشكل أرضية خصبة لإنتاج نظرية معاصرة تبحث في المعنى الثالث الذي يجعلنا متأكين أن المخاطب خالي الذهن من المعلومة، و تجعلنا على يقين أن الإفهام و الفهم حصلا ...فكل ما تم التأكيد عنه لا يغدو سوى تأويلات تفتقد للمبررات الواقعية للحكم على ما يجرى في أذهان الأخرين، بمعنى أخر تم بناء نظريات كثيرة في البلاغة العربية على التأويل و ليس التحليل المنطقي الذي ينسجم مع العلم، و رغم أننا نقر أنه من الصعوبة فعل ذلك لاستحالة تحويل أدمغتنا إلى مختبرات للتجربة العلمية، إلا أنه من الممكن جدا استثمار الكثير من الوسائط لتحليل ذلك، و ما اللغة إلا واحدا من تلك الوسائط التي يجب أن نرصد سلوكاتنا اللغوية من خلال ما نعبر عنه من أفكار و تصورات ، مما يفرض علينا إعادة النظر في المشروع العام الذي بنيت عليه البلاغة الذي هو التأثير و التأثر و دور اللغة في إيصال المخاطب إلى أعلى درجات الإقناع، بسبب أن ما ننتجه من اللغة غير كاف لبناء ذلك، فاللغة تعبير عن عجز و لا تعبر عن قوة.

وفق ذلك يمكن أن نؤكد أن إنتاجنا للغة محكوم بشروط، وتداعيات ذلك لها صلة بنتائج مخرجات الأنساق التواصلية، بمعنى أننا محكومون بسلطة خفية تظهر ملامحها بجلاء من خلال سلطة اللغة التي تكرس العديد من التصورات والمفاهيم بشكل خطير عبر إقناع الجمهور به وتكريس حضوره في كل المجالات والقطاعات، ولك أن تنظر إلى الطريقة التي توغل فيها مفهوم "الإرهاب" إلى ذهن الجمهور بالتصور الذي أريد له به، و لنا أن نستحضر كيف سيطر مفهوم " القاعدة" على الساحة السياسية الدولية خلال العشرية الأولى من القرن الواحد والعشرين، لدرجة أنه لا يمكن أن نمرّ على وسيلة إعلامية دون أن يقع على مسامعنا صداه، ولنا أن نستحضر كيف يروج مفهوم الداعشية في وسائل الإعلام الدولية، وكيف أنه تحول من مفهوم يحيل على حركة معارضة بتوجه إسلامي متشدد إلى مفهوم يحيل على التشدد والغلو في الأمر، فعندما تنتج عبارة من قبيل: (أنت داعشي الفكر)؛ (دعني من داعشيتك)؛ (تطلعك للحياة داعشي المذهب).

ونحن إذ لا نناقش هذه المحتوى العام لهذه الحركات، فنحن نخصص منها المفهوم في حدّ ذاته و كيف توغل فينا و في معجمنا بشكل لم نتصوره للحظة، و حتى إن وعينا بالأمر فإننا لا نملك إلا أن ننحني أمام سلطة حضوره حتى يمرّ ، بمعنى أن توغل هذه المفاهيم داخل معجمنا المتداول يعدّ سلطة لغوية قوية جدا، رغم معرفتنا أن هذه السلطة تُدعّم بالعديد من الوسائط و الوسائل التي تدفع به نحو الحضور المستمر في حياتنا اللغوية، بل إن المسألة تتطور بشكل يجعل منها

مفاهيم سيّارة[2] متحولة من حركات معارضة إلى معاني محيلة،و هذا وحده كفيل بأن يجعلنا نقف للحظة لكي نتأمل هذا التوغل و نستوعب الطرق المؤدية إلى إنتاجه و تسويقه.

3- دور اللغة في الكشف عن المعنى الثالث

كتب كوستاف لو بون كتابا عنونه ب سيكولوجية الجماهير تحدث فيه أن علماء النفس، ومن بينهم فرويد، أنه بمجرد أن ينخرط الفرد في الجماعة حتى يكتسب سماتهم ما كانت من خواصه من قبل، أو لنقل إنها كانت موجودة و لكنه لم يجرؤ على البوح بها أو التعبير عنها، وهذا كفيل بأن يجعل المنهج المطبق على دراسة الفرد يجب أن يكون مختلفا عن المنهج المطبق على دراسة الجمهور[3]. لكن من الممكن أن نستثمر مفاهيم اللاوعي الفردي في دراسة اللاوعي الجمعي، و على الرغم من معرفتنا أن فهم الضمير الجمعي يمر عبر بوابة الضمير الفردي باعتباره جزءا من البنية العامة التي تؤسس لنظام الجماعة، و الحقيقة أن ما يهمنا في المسألة ليس البحث في طبية اللاوعي الذي يتحكم في الفرد أو الجماعة، لكني أريد أن أنبه إلى مسألة مهمة جدا هي سلطة الجماعة على الفرد في مسألة أنه لا يستطيع أن يصرح بما يخالف الجماعة، و إذ نتحدث عن التصريح هنا ، فإننا نخصص ذلك بما يتوافق و العمليات المتدخلة في التواصل، بمعنى أن غير المصرح به هو المعنى الثالث الذي يظل في منطقة هناك داخل الذهن، و عندما نقول هناك موانع تحول ذلك فهذا يعني أن الكثير من اللغة يظل في الذهن و لا يصرح به وفق سلطة يفرضها الجمهور على الفرد، لأن مبدأ القوة يرجح كفة الجمهور على حساب الفرد، وهنا يمكن أن نفتح بابا لمناقشة المعنى الثالث باعتباره جزءا خفيا في العمليات التواصلية.

انتبه الدكتور عماد عبد اللطيف في الكثير من الأبحاث إلى فكرة بلاغة الجمهور، و هي الفكرة التي راودت الكثير من أعماله، مؤكدا أن المواطن العربي يتلقى يوميا العديد من الخطابات الدينية و سياسية و إعلامية بتوظيف مجموعة من الوسائط من إعلام و لافتات و مواقع الاجتماعية عبر الشبكة العنكبوثية و وسائط إذاعية مسموعة ....والأكيد أن حجم القصف اليومي يفوق كل التصورات، اعتبارا أن قيادة الجمهور تتطلب توظيفا مكثفا للحجج التي تساعد على الدفع بهم نحو الإقناع، ولكي تقنعهم يجب أن التأثير فيهم بشكل قوي عبر استمالة عواطفهم وأحاسيسهم و جعلها مطاوعة للهدف المتوخى، ومن المهم أيضا أن نؤكد أن الكاتب اتجه نحو بناء بلاغة جديدة فيها اجتهاد كبير مبني على منطلقات علمية و معرفية مهمة، مما دفعه نحو قراءة جديدة للبلاغة عبر تصنيفها وفق مداخل

---

[2] نقصد بالمفاهيم السيارة تلك المفاهيم التي تنتقل من حقل معرفي إلى حقل معرفي أخر مع الحفاظ على الكثير من الخصائص و مواءمتها مع الحقل المعرفي المتقبل، و هي مسألة واقعة في العلم و المعرفة.

[3] يمكن التوسع في المسألة من خلال العودة إلى مؤلف : سيكولوجية الجمهور لكاتبه غوستاف لوبون، ترجمة وتقديم هاشم صلاح، منشورات دار الساقي، و الصادر سنة 1991.

تراعي ثلاثة أصناف أساسية هي أولا: المادة التي يختص التوجه البلاغي بدراستها، ثانيا الموضوع الذي يعالجه التوجه البلاغي، ثالثا الوظيفة التي يسعى التوجه البلاغي لإنجازها،باعتبار أن كل هذه الخطوات ذات بعد إجرائي فقط ، و قد عالج الكاتب كل صنف من الزاوية التي يستهدفها التحليل العام للبلاغة العربية، لكن ما استخلصه أن الثلاثي المقترح في التصنيف يستجيب للعلم بكافة اختصاصاته ، فلو أخذنا الرياضيات أن المنطق أو الفيزياء ...كلها تميل إلى العلمية لأنها تقوم على عنصري المادة و الموضوع من جهة، ومن جهة أخرى وظيفة هذا العلم داخل كل مناحي الحياة، وأن ندخل البلاغة في هذا الباب هذا أمر يجعلها قريبة من العلم و من الحقيقة والمنطق، إلا أن كل التعاريف التي تقدم للبلاغة، في حدود ما أدركه، هي خطاب احتمالي، و الاحتمالية هنا ضرب من عدم اليقين، بل يجعلها تقوم على تأويل ما قد يقع على مستوى ذهن المخاطب، بمعنى أكثر ظام مبدأ الاحتمالية يؤسس له عدم قدرتنا على رصد ما يدور في الضمير الجماعي أو الفردي لصعوبة تحويل أدمغة الجمهور إلى مختبرات للتجارب و الدراسة و التحليل، إضافة أن الإنسان يملك قدرة على قراءة ما يدور في ذهن الغير بناء على القراءات أو الإسقاطات التي يستنتجها من خلال رصد سلوكات الأخر، و الأكيد من كلّ هذا أن الإنسان يضمر الكثير من المعطيات التي تتخذ طابعا لغويا من جهة، و من جهة أخرى طابعا مرتبطا بالمشاعر والأحاسيس و الرغبات و المكبوتات التي لا يستطيع التعبير عنها و لا التصريح بها لشروط لها صلة بالمقام أو السياق أو الظروف و الملابسات المحيطة به، مما يدفع نحو التأكيد أن المعنى الثالث الذي يظل راسخا في أذهاننا هو من يجعل من البلاغة خطابا احتماليا و ليس علميا بالمقاييس التي يتطلبها العلم، خصوصا إذا ما تأملنا أن تحريك الجمهور نحو مسار معين سياسي أو ديني أو رياضي يصطدم دوما بإكراهات أو ترسبات موروثة عن الجماعة التي تعتبر الحاضن الأول للفرد اجتماعيا قبل أن يتوسع وعاء الشراكة ليشمل المدرسة و الشارع و الأصدقاء و الإعلام...فكل جزء من هذه المكونات يحاول السّيطرة على الجزء الأخر من خلال فرض سلطة معينة عليه، إلا أن الأخطر في المسألة هنا أن حتى لو انخرط الفرد في توجه الجمهور فهذا لا يعني أنه فرد مهادن و مستسلم بالمرة، بل من الممكن أن يثور على ذلك في أي لحظة من اللحظات، أو لنقل هو يستغل مكونات المعنى الثالث الكامنة في ذهنه كسلاح للتفاوض على مطالب أو مكتسبات، أو يصدّ بها كلّ تهديد يستهدف مخزونه الفكري أو العقدي أو السياسي....

4- من بلاغة اللغة إلى بلاغة الذهن

منذ ظهور البلاغة و هي تسعى إلى فرض السيطرة على الأخر، باعتبارها أداة فعالة يستطيع كل من يطوع أساليبها في فرض سلطة على الآخرين، و قد أوضح

"جورجياس" ذلك عندما أكد أن هؤلاء يستطعون إقناع الآخرين، لأنهم يمتلكون مهارة الكلام - بل إنهم يستطيعون تسخيرهم لخدمتهم.
حقيقة أن الذين يعرفون كيف يتكلمون لهم سلطة خفية يمارسونها على الجماهير ، و هي سلطة ممنوحة من خلال القراءة الجيدة لأذهان الجماهير ، و مهمة صعبة و لا يمكن أن تتاح لأي أحد، بل هي مهارة تنمى و تتطور و تنسج وفق ملابسات لها علاقة بالقراءة الجيدة لسيكولوجية الجماهير و متابعة كل التغيرات التي تطرأ بين الفينة و الأخرى، و من الصعب جدا أيضا أن تسيطر على أذهان الجماهير دون أن تمتلك حسهم و تشعر بما يشعرون به، فلا يمكن أن نتصور أن يصل المتكلم إلى أعلى درجات التأثير إذا كان لا يمثل الضمير الجمعي للجماهير، و هي بلاغة أعتبرها من جزءا مهما يؤسس لتوجه جديد في الدراسات المعرفية، على اعتبار أن المرجع الأساس لهذا التوجه يقوم على اعتبار البلاغة المعرفية مرجعا أساسا لبناء فرضية القراءة الجيدة للذهن البشري، إذ يمكن أن نفصل بين البلاغة اللغوية كما طرحت منذ أرسطو حتى لبرمان ، و بين بلاغة الحجاج كما طرحت مع ديكرو و أبو بكر العزاوي، و بين البلاغة المعرفية كما أتصورها باعتبارها تتجاوز اللغة نحو الذهن، بالنظر أن اللغة في هذا المستوى تعتبر وسيطا فقط نستطيع من خلالها الطرق التي يشتغل بها الذهن البشري، بمعنى أننا نعتبر جزءا من الوسائط التي نستخدمها للوصول إلى قراءة جيدة للذهن البشري، و مادام أن هذا الأمر لا يمكن أن يتاح للجميع، فإن الذي يستطيع فعل ذلك يجب أن تتوافر فيه العديد من الشروط الضرورية و الكافية التي تجعله ينتقل تدريجيا من بلاغة اللغة إلى بلاغة الذهن، و إذا أمكننا أن نساير هذا الطرح، فإن مقتضيات البناء المنهجي لهذا النوع من البلاغة يجب أن يستحضر دوما أن حدود اشتغال بلاغة الذهن البشري تقف عند حدود قراءة ما يجري في ذهن الأخر مستخدما في ذلك كل ما يتاح أمامك من مؤشرات و ملامح و وسائط لغوية أو غير لغوية ....بالنظر أن الذي يُجمّع كل هذه المعطيات يستطيع في الوقت نفسه أن يكون قارئا جيدا للذهن، لذلك نستطيع أن نجزم أن المتكلم الذي يستطيع أن يسيطر على الجماهير هو المتكلم الذي يقرأ جيدا ما يجري في أذهانهم، و نحن نؤكد أنه يستثمر في ذلك كل المعطيات المتاحة، لتكون اللغة أحد هذه الوسائط التي يتم استغلالها بشكل جيد لتمكينه من إسقاط فعل السيطرة و جعلها أمرا محققا، فاللغة وسيلة و ليست غاية، و الغاية هي تحقيق التوافق العاطفي بين متكلم "انتهازي" وجمهور "ضحية" مع حفظ القيمة المعنوية لكل واحد منهما.

خاتمة

حاولت في هذا البحث أن أضع المشروع الذي قدمه الدكتور عماد عبد اللطيف على طاولة النقاش والتساؤل من بوابة الاستفادة مما توصل إليه في تأسيسه لبلاغة الجمهور، ومحاولا في الوقت نفسه أن أنتقل بهذا المشروع من بلاغة اللغة

إلى بلاغة الذهن، وأقصد هنا أن السلطة التي يمارسها المتكلم على الجمهور لا تقف عند حدود اللغة "فقط"، بل أتصور أن ما يجعل المتكلم في هذه الصورة هي قدرته على قراءة ما يجري في ذهن الجمهور مستثمرا في ذلك كل المعطيات التي تجري أمامه، فهو يجمع بين الخطيب الذي يلقي كلامه بواسطة اللغة وبين محلل طبي ونفسي وبيولوجي لما يجري في أذهان الجمهور، وهي معطيات تشخيصية لا يمكن أن تتاح إلا متكلم يملك شروطا ضرورية و كافية.

لائحة المراجع و المصادر

- عماد عبد اللطيف (2006): بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته. ضمن الندوة الدولية الثامنة التي أقيمت إيام 24-25 نونبر 2005، بكلية الآداب و الفنون بالقاهرة.
- عماد عبد اللطيف (2012): اللغة و الثورة: نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أورويل، مجلة نزوى ، العدد 69.
- عبد الكبير الحسني (2018): الحجاج في اللسانيات العربية الحديثة، ضمن كتاب الحجاج، عن منشورات الرسالة، الجزائر .
- عبد الكبير الحسني (2018):آليات بناء الحجاج: من اللغة إلى الذهن، ضمن مجلة روابط ، منشورات جامعة العربي التبسي، العددان الأول و الثاني (مزدوج).شتنبر .
- عبد الكبير الحسني (2017): مستويات الخطاب المعرفي: المعنى و التأويل و الثقافة، ضمن مجلة سياقات ، العدد السادس، أغسطس.